بهجة عند الفجر
(أفسس ١ إلى ٣)

تأليف: جون ل. كاخلمان

قد يكون الوقت الذي يشعر فيه المرء بأكثر وحشية الوحشة هو في الليل عندما يكون الظلام دامساً. كل من سافر بطريق موحش خلال الليل أو جلس بجانب سرير شخص عزيز مريض يتذكر كم كانت تلك الساعات اليائسة الطويلة من الظلام وكيف مرت ببطء. عندما ظهرت أول إشارة ضوئية، بدأ اليأس الذي كان بسبب الظلام، يتبدد. عندما بدأت أشعة الشمس الساطعة تتلألأ على امتداد الأفق، حل العزاء مكانٍ ظلام الليل. يجعل الضوء كل شيء أفضل بكثير. حقاً يبتهج الفجر فرحاً (المزمور ٦٥: ٨).

يصف الكتاب المقدس عملية الاهتداء إلى المسيح كبزوغ فجر البر. الذين لا يدرسون شريعة الله ويفهمونها ويطيعونها ليس لهم «الفجر» (إشعياء ٨: ٢٠). أعظم بركة للبشر هي الفرصة لقراءة وفهم الحق الذي أعلنه الله. عندما يقرأ الناس الكتاب المقدس، يشرق ضوء الحق في قلوبهم، منهياً وجودهم الميؤوس في الظلام.

يعرف المسيحي الجديد بركة «التنوير» بالحق الذي من الله (راجع عبرانيين ٦: ٤؛ ١٠: ٣٢). لقد عرف وصايا الإنجيل وفهمها وأطاعها. عندما يفعل الشخص هذه الأشياء، تحل حياته {الجديدة} المستنيرة بالحق محل الحياة {القديمة} التي عاشها في الظلام. يكون له الفرح والعزاء لأن النور يحيط روحه.

توضح إستعارة بزوغ الفجر بما يحدث عند الإهتداء. كما يحل الفجر محل الظلام تدريجياً، هكذا أيضاً تأتي عملية الإهتداء بالشخص تدريجياً لفهم نور الحق الذي من الله. كما أن نور الفجر يحل محل الخوف، هكذا أيضاً يحل الحق الذي من الله محل رهبة الوقوف كخاطيء أمام الله البار. يحب الله جميع النفوس ولا يريد لواحدة منها أن تضل (٢ بطرس ٣: ٩ و١٠؛ يوحنا ٣: ١٦-١٩). وفر لنا الله الخلاص عندما أرسل المسيح إلى الأرض. قدم المسيح نفسه ذبيحة لكي يغسل خطايانا بدمه. كم هو مثير مشاهدة الشخص يتقدم لفهم خطة الله للخلاص ويطيع متطلبات الله! هذا وقت فرح عظيم (أعمال ١٦: ٣٤). عندما أَتَيْتَ إلى المسيح، ابتهج المسيحيون الذين من حولك! لقد «{رَجَعتَ}مِنْ ظُلُمَاتٍ إِلَى نُورٍ» (أعمال ٢٦: ١٨)، والآن تملأ البركات الروحية حياتك.

عند ابتدائك في الحياة المسيحية، يستحسن أن تذكر الطريقة التي نلت بها الخلاص. أرجو أن تذكر البشارة/الخبر السار الذي أنقذ نفسك. وأذكر الفرح عندما وجدت النور الحقيقي للحق الذي من الله والحرية الجديدة التي تتمتع بها بعد ان انفصلت من ظلمات الخطيئة.

سنستخدم الرسالة إلى أهل أفسس كأساس لدراستنا هذه. كتب بولس هذه الرسالة إلى المسيحيين الذين كانوا في أفسس لكي يتذكروا رجوعهم من ظلمات الخطيئه إلى نور الله. ذكرت هذه الرسالة الإخوة {في أفسس} بالخطة الإلهية التي أخرجتهم من الظلمات وإلى نور الحق الذي من الله. قدم بولس فيها أيضاً إرشادات عملية عما يعني أن «{يسلكوا} كَأَوْلاَدِ نُورٍ» (أفسس ٥: ٨). الرسالة إلى أهل أفسس هي بالحقيقة مرشد موحى به من قبل الله للمسيحي الجديد. إرشادات هذه الرسالة هي مصدر ممتاز للإجابة على السؤال:

«بما أنني مسيحياً الآن، ماذا يجب أن أفعل بعد؟»

يلقي هذا الدرس نظرة شاملة على الأصحاحت الثلاثة الأولى من الرسالة إلى أهل أفسس. في هذه الأصحاحات، كشف الكاتب الموحى إليه خطة الله التي افتدت أهل أفسس من ظلمات الخطيئة. هذه الخطة هي عقيدة الخلاص العظيمة، الخلاص الذي صممه الله يوجد في الكنيسة فقط. فكر معي كيف تفهم خطة الله للفداء.

مِنْ ظُلُمَاتٍ إِلَى نُورٍ: خلاص في المسيح (أفسس ١: ٣-٢٣)

بارك الله المسيحيين في أفسس بنعمته. كان أهل أفسس قد نالوا بركات العهد للخلاص (٣: ٤-٦). يقدم الجزء الإفتتاحي من رسالة بولس الرسول إلى أهل أفسس قائمة بالبركات التي تأتي إلى حياة المسيحيين. (راجع القائمة الواردة على هذه الصفحة). تبدأ هذه الرسالة بتحية بولس المعتادة، ومن ثم علنت: «مُبَارَكٌ اللهُ أَبُو رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، الَّذِي بَارَكَنَا بِكُلِّ بَرَكَةٍ رُوحِيَّةٍ فِي السَّمَاوِيَّاتِ فِي الْمَسِيحِ» (١: ٣). تضع هذه الكلمات التوكيد على البركات الروحية التي يمتلكها المسيحيون بعد خلاصهم.

ماذا فعل أهل أفسس لكي يخلصوا وينالوا نعمة الله؟ أوضح بولس في أفسس ٢: ٨-١٠ أن العمل بمشيئة الله خلص أهل أفسس. خلصوا بنعمة الله. ولكن كيف حدث ذلك الخلاص؟ ما الذي شمله اهتدائهم. اتخذوا الخطوات نفسها التي يطلبها الله من القلوب الصادقة في يومنا هذا. عندما نراجع ما عمله أهل أفسس ليخلصوا بنعمة الله، سنعرف ما ينبغي أن يعمل الناس في يومنا هذا ليخلصوا.

يصف السجل التاريخي الوارد في الأصحاحين ١٨؛ ١٩ من كتاب أعمال الرسل وفي الرسالة إلى أهل أفسس الطريقة التي تم الهتداء بها. أولاً، سمع الناس الكرازة بالإنجيل (أعمال ١٨: ١٨-٢١؛ ١٩: ١-١٠؛ أفسس ١: ١٣). عندما استمعوا إلى تعليم الرسل، أمنوا بان ذلك كان الحق الذي أعلنه الله. وهذا الإيمان جعلهم يقبلون حقيقة أن يسوع هو المسيح ابن الله (أعمال ١٩: ١٧؛ أفسس ١: ١٣ و١٥). ثالثاً، بسبب إيمانهم بيسوع انه ابن الله، تراجعوا عن جميع المعتقدات الدينية الأخرى. تخلوا حالاً عن معتقداتهم المضللة وتوقفوا عن العمل عكس ناموس الله (أعمال ١٩: ١٧-٢٠). رابعاً، أعلنوا التوبة إذ اعترفوا بالمسيح ابن الله رباً لحياتهم وكانوا مستعدين للإلتزام بوصايا المسيح (أعمال ١٩: ١٧ و١٨). خامساً، تعلموا بانه لكي يكونوا جزءاً من كنيسة المسيح (أي عضو في عائلة الله، ونفس أزيلت خطاياها)، لا بد من أن يعتمد الشخص بالتغطيس في الماء. كان البعض قد غطسوا في ما المعمودية ولكن لم يكن حسب المعمودية التي أوصى بها المسيح؛ فتعمدوا بالتغطيس مرة أخرى (أعمال ١٩: ٢-٥). المعمودية بالتغطيس التي أوصى بها المسيح هي لغفران الخطايا (متى ٢٨: ١٨-٢٠؛ مرقس ١٦: ١٥ و١٦؛ أعمال ٢: ٣٨؛ ٢٢: ١٦). سادساً، وضعتهم المعمودية في المسيح. تشير عبارة «في المسيح» ونظيراتها إلى أن أهل أفسس كانوا جزء من جسد المسيح (كولوسي ١: ١٨). الذين في المسيح هم وحدهم الذين خُلصوا لأن الذين فيه هم فقط لهم فوائد البركات الروحية التي تم وصفها في الرسالة إلى أهل أفسس. لا يمكن للشخص أن يكون في المسيح حتى يفعل كل ما فعله أهل أفسس ليكونوا في المسيح.

ما هي البركات التي أتى بها عهد الله للخلاص إلى المسيحيين في أفسس؟ هي البركات نفسها الموجودة في حياة الناس في يومنا هذا الذين يعملون ما عمله أهل أفسس لكي يكونوا في المسيح. اقرأ الرسالة إلى أهل أفسس ١: ٣-٢٣ لكي ترى البركات المتاحة للذين هم جزء من جسد المسيح، أي الكنيسة. يتمتع المسيحي بالبركات الآتية:

- بركات سماوية تفوق بكثير البركات الدنيوية (الآية ٣)
- البركة بان يكون الشخص مُلْك الله المختار العظيم القيمة (الآية ٤)
- البركة بان يكون الشخص ابن الله بالتبني(الآيتان ٥ و٦)
- البركة بالفداء من الخطايا - غفران تام

(الآية ٧)

- البركة بان يكون للشخص حكمة وفهم للحقائق الروحية (الآيات ٨، ١٧، ١٨)
- البركة بان يمتلك الشخص وحي الله للشركة مع المسيحيين الأخرين (الآيتان ٩ و١٠)
- بركة ميراث غنى السماء (الآيات ١١ و١٢)
- بركة الختم من قبل الروح القدس (الآية ١٣)
- بركة عربون الفداء الأبدي (الآية ١٤)
- بركة شركة المحبة مع الإخوة في إيمان واحد (الآية ١٥)
- بركة الصلوات من قبل الإخوة المهتمين (الآية ١٦)
- بركة القدرة الروحية من الله الآب (الآية ١٩)
- بركة الخدمة في أعمال الرب (الآيات ٢٠-٢٣)

تأتي البركات الروحية نتيجة لسماع الشخص لحق إنجيل الله والإيمان بهذا الحق، والإعتراف بخضوعه لسلطان الرب والإعتماد لمغفرة الخطايا، ويعيش حياة راسخة بإيمان مكرس. تضع هذه الأفعال الشخص في عهد النعمة المخلص! الذكريات العزيزة لفهم خطة الإنجيل للخلاص وإطاعة وصاياه تبارك نفس الشخص. عندما يتذكر المسيحي علاقة العهد مع الله، يقهر الفرح يأس الظلمات. ويؤدي ذلك إلى شكر مستمر.

من اليأس إلى الأمل: مصالحة في المسيح (٢: ١-٢٢)

الأصحاح الثاني من رسالة بولس الرسول إلى أهل أفسس هو أحد أعظم الأصحاحات في الأسفار المقدسة! يصف هذا الأصحاح الطريقة التي يتم بها الخلاص. يبدأ بوصف مأساة ويأس الضالين في ظلمات الخطيئة. ومن ثم يخبرنا كيف قُدم لهؤلاء الذين في تلك الحالة اليائسة وسيلة للنجاة. تصف الآية الأخيرة الحياة الرائعة التي يعيشها الذين رجعوا من ظلمات الخطيئة إلى نور البر. يقدم هذا الجزء الموحى به من الكتاب المقدس ملخص مذهل عما يحدث عند الإهتداء. أنظر كيف تم تقديم هذا الملخص.

أولاً، نرى يأس الخطيئة (٢: ١-١٢). يبدأ هذا الجزء بذكر القُرَّاء بانه مع انهم كانوا في المسيح واستمتعوا ببركات الشركة مع الله، إلا في السابق لم يكونوا مباركين هكذا. قبل أن يتعمدوا في المسيح، كانوا:

- أمواتاً بسبب وجود الخطيئة (الآيتان ١ و٥).
- غير مطيعين لأنهم كانوا خاضعين للشيطان (الآية ٢).
- مكرسين للشهوات الدنيوية (الآية ٣).
- مدانين لأنهم كانوا منفصلين عن الله (الآيتان ١١ و١٢).

مأساة العيش في ظلمات الخطيئة فظيعة جداً. الذين يعيشون هذا النوع من الحياة هم بؤساء. يتذكر المسيحي تلك الحياة البائسة ويكون شاكراً أن الله قدم له الخلاص (٢: ٨ و٩). الذين يسمعون خطة الخلاص ويعملون بها يصيرون خليقة جديدة وينجون من بؤس الموت الروحي. يأس الخطيئة يجعل المسيحي يقَدِّر أهمية الخلاص الذي قدمه الله. قُدِمت بركات عجيبة للذين يتخلون عن حياة الخطيئة.

ثانياً، نرى فرح المصالحة (٢: ١٣-١٨). بؤس ظلمات الخطيئة صححتها رحمة الله. يجد الذين هم «الآنَ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ» (الآية ١٣) أنفسهم في حالة مختلفة تماماً. قدَم الله ابنه الوحيد ذبيحة لكي يخلص جميع الناس (يوحنا ٣: ١٦). في ذلك الموت الكفاري أتى المسيح بفرصة المصالحة إلى عالم شديد العداوة. كانت هناك عداوة بين البشر والله لأن الخطيئة أفسدت الشركة المباركة. كان هناك عداوة بين الناس لأن الخطيئة أوقدت التكبر. وأما المسيح فجاء إلى العالم ليبشر بسلام (الآية ١٧) إلى عالم كان في نزاع مرير. الذين يسمعون قصة الإنجيل يكتشفون المصالحة الممكنة؛ لا ينبغي للحرب أن تستمر في ما بعد.

في هذه الحرب، كان كل مسيحي في وقت ما عدو الله. ينكر البعض هذه الحقيقة، ولكن في وقت ما كل من هو مسيحي الآن كان قد شارك ذات مرة في مساندةجهود إبليس للتغلب على الله. ولكنه عندما أصبح مسيحياً، بدأ يساند الله عوضاً عن إبليس. ما

أروع الإدراك أن الله يغفر لنا عداوتنا ومعارضتنا له! المسيحيين مباركين لأن المسيح جعل الوصول إلى غفران الله الرائع أمراً ممكناً.

ثالثاً، نرى تكريس الإنتماء إلى الله (٢: ١٩-٢٢). لا يحل الخلاص محل اليأس من الخطيئة فقط بدون التجديد والمصالحة، بل أيضاً يجعل المسيحي يريد التكريس لدعوى الرب. وهذا يعني أن المسيحي خُلِص بدم المسيح، وتمت مصالحته مع الله، وأصبح في علاقة خاصة معه. يصبح المسيحي الذي خُلِصَ جزء لا يتجزأ من هيكل الله {المقدس}. المسيحي بصفته جزء من هذا الهيكل يتم تقديسه لخدمة الله وينضم إلى جميع المخلصين. لم يعد عدواً الله. ولا يساند في ما بعد معارضة الله. بل يعمل في وئام مع المسيحيين الآخرين من أجل دعم دعوى الرب. يا للتباين المذهل الذي نراه الآن عند المقارنة مع الوقت الذي كان فيه الشخص ميتاً (٢: ١)!

من الارتباك إلى الثقة: ضمانات في المسيح (٣: ١-١٩)

للمسيحي الجديد ضمانات تختص بالأمور الروحية. عندما سرد بولس قصة إهتداء أهل أفسس ذكر لهم أن الله بسط الأمر للناس كي يخلصوا. صمم الله خطته للخلاص من أجل مصالحة الإنسان مع الإنسان، وإنسان مع الله. بدت هذه المصالحة ذات مرة متعذرة. كانت الخطة غامضة ومحيرة (كانت «سر»؛ الآية ٣). تم الكشف عن هذه الخطة شيئاً فشيئاً من قبل أنبياء العهد القديم (إشعياء ٢٨: ١٠). بعد موت المسيح، تم توضيح تفاصيل هذه الخطة. وصف الرسل وأنبياء القرن الأول الميلادي هذه العملية كلها. لقد كتبوا خطة الله هذه لكي يفهمها كل من يقرأ الكتاب المقدس.

أنت كمسيحي جديد قد يكون لك ثقة راسخة. تعرف انك قد أطعت إرادة الله. لقد ضمنت لك الطاعة بركات الخلاص الموضحة في الأصحاح الأول من الرسالة إلى أهل أفسس. هذا الضمان المؤكد يحمي قلبك من تجارب إبليس ويناشدك بان تبشر الآخرين بالخبر السار عن الخلاص. أنت كمسيحي لك الضمانات التالية:

- حكمة تختص بمشيئة الله لحياتك (الآية ٤)
- شركة مع المسيحيين الآخرين المكرسين لإطاعة الله (الآية ٦)
- نصيب في غنى المسيح غير المحدودة (الآية ٨)
- مسؤولية لنشر كنيسة الرب (الآيتان ٩ و١٠)
- قوة بواسطة الصلاة لإيجاد القدرة في الأمور الروحية (الآيات ١٤-١٩)

الذين يعيشون في العالم لا يجدون ضمانات في ما الكثير من الأشياء. يصير الكثيرون منهم ساخرين مكتئبين. المسيحي مبارك لأن الخلاص يقدم تأكيد مطلق في كل جانب من جوانب الحياة. عندما تبدأ سيرتك المسيحية، كن عالماً بوعود الله. عندما رجعت من ظلمات إلى نور، وجدت ضمانات مباركة لخلاص نفسك! وهذا السلام يعني أن المسيحية قد باركتك بعطية يريد أن يملكها كثيرون.

من ضعف إلى قوة: ضمان في المسيح (٣: ٢٠ و٢١)

تناشد هاتين الآيتين المسيحون في أن يثقوا في قوة الله. عندما بدأت تسلك كمسيحي، قد تخاف بان التجارب القديمة قد تتقوى على قرار التوبة الذي اتخذته مؤخراً. قد ينسي المسيحي الجديد قوة الصلاة الحاسمة. ورد في الآيات الأخيرة من الأصحاح الثالث من الرسالة إلى أهل أفسس كلام لا جدل فيه: الله أعظم من أي مشكلة قد تكون لديك! إن كنت تثق بالله وتتبع مشيئته لحياتك، ستجد بركات عظيمة.

يطلب المسيحي الجديد مجد الله في الكنيسة! عليك أن تشارك في شتى الأعمال، وتحضر جميع مناسبات الكنيسة، وتكرس نفسك لبناء كنيسة الرب (راجع أفسس ٢: ١٩-٢٢).

هناك عون دائم متاح لجميع الذين يجاهدون من أجل إتباع وصايا الله. أرجو ألا يثبط عزمك. أرجو ألا تنسى أن الله «{قادر} أَنْ يَفْعَلَ فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ، أَكْثَرَ جِدًّا مِمَّا نَطْلُبُ أَوْ نَفْتَكِرُ، بِحَسَبِ الْقُوَّةِ الَّتِي تَعْمَلُ فِينَا» (أفسس ٣: ٢٠). الله العظيم الذي عمل الأشياء الرائعة المذكورة في الأصحاح الثاني من الرسالة إلى أهل

أفسس قادر أن يعينك دائماً لتحيا حياة مسيحية.

أفكار ختامية

وردت في نشرة الكنيسة قصة عن امرأة كانت تريد الحصول على عنقود عنب من كرم الملك. كان لتلك المرأة طفل مريض جداً. وكان هذا الطفل يشتهي أن يذوق من ذلك العنب. فذهبت المرأة إلى الذي كان يعتني بمزرعة الملك وطلبت عنقود عنب صغير ولكنها طُردَت بقسوة. ولكنها جاءت مرة أخرى ببعض النقود، إذ ظنت أن البستاني قد يبيع لها بعض العنب، ولكنها طُردَت أيضاً. سمعت ابنة الملك كلام البستاني القاسي وتوسل الأم، فسألت عما كانت تريد. أوضحت الأمم ظروفها ورغبتها في الحصول على القليل من العنب لابنها المريض. استمعت ابنة الملك ثم قالت: «أيتها الوالدة العزيزة لقد أخطأتِ إذ ظننتِ أن أبي قد يبيع لك العنب. فانه ليس تاجراً، بل ملكاً؛ عمله ليس البيع، بل أن يعطي». ثم أخذت الأميرة عنقود عنب كبير من الكرم وأعطته للأم. ما لم تستطع الأم تأمينه بأية طريقة أخرى، حصلت عليه كعطية مجانية.

لقد وفر لنا أبونا السماوي مخرجاً من شقاء الخطيئة. قد نترك جهل وخزي سوء الفهم المظلم ونجد فرح الفهم المستنير لمشيئة الرب. يكون هناك فرح لا يوصف في قلوب الذين يفهمون أن الإله العظيم الذي في السماء يحبنا ويطلب أن يكون في شركة معنا. هذه البركة متاحة وتُعْطَى مجاناً (رؤيا ٢٢: ١٧). ما أمجد البركة! المطلب الوحيد هو أن يقرأ (يستمع) الشخص ويدرس ويفهم ويطيع.

لنشكر الله أن نور الفجر يبدد خوف الظلام ويأسه.

جميع الحقوق محفوظة ٢٠١٠